As-Sayeh Special Issue 1922 p. 22

رأيتها ثم رأيتها

بقلم الاميرة نجلا ابي اللمع
صاحبة مجلة «الفجر» البيروتية

pp. 22-23

رايتها في اعماق الوادي تسير امام قطيع من الغنم بخفة ولطافة حتى تورده اعذب الموارد وترعاه في اخصب المناجع ورايتها في زوايا المدينة تتصيد النفوس الغضة بما تنصب لها من الحبائل الفاسدة غير مشفقة على نشأتها العالية وفطرتها الشريفة رائية لسوء مصيرها وشر منقلبها

رايتها في الجبل تسير مع سربها الى العين وعلى كتفها قربة وعلى محياها حمرة الحياء . اذا نظرت فالى الامام او تكلمت فبصوت خافض وهنا النغمة الملكية بل العظمة الحقيقية . ورايتها في شوارع المدينة وليتني لم ارها !

رايتها في الجبل تجمع ثمارها عند المساء كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، سمعتها تقول «ابانا الذي في السموات» فيجيبها اولئك الملائكة «ليتقدس اسمك» وما كان اشد تاثري من هذا المشهد الذي استوقفني وابكاني ورايتها في المدينة بحائط تالي بيتها ليلا حتى اذا انتهت اليه مالت الخادمة عن اطفالها هل هم نيام !

رايتها في الجبل ايام الاحاد والاعياد مقبلة على المعبد ورايت على وجهها صحة من الجمال الطبيعي الذي ليس فيه اثر من التصنع والتبرج وكانما اكتفت بما هي عليه من جمال النفس فابت ان تقرنه بالجمال الزائل او تشوهه بالمحاسن الكذابة الخداعة، رايتها جاثية امام المذبح مطاطئة الراس خاشعة الطرف تبتهل الى مبدعها بايمان حي صادق مستنزلة عليها وعلى اسرتها ازكى الالاء والبركات . ورايتها في المدينة تدخل المعابد مياسة كالغصن وهي اشبه بالطاووس في خيلائها كانها داخلة الى مقصف او ملهى واذا القيت في تلك الساعة نظرة على ملابسها الحريرية الشفافة انكرتها عليها وهي في المراقص والاندية التمثيلية

رايتها في الجبل قرب مصباح ضئيل النور تغزل في الليل الصوف بخفة ولباقة دون ان يدركها نام . ورايتها في المدينة الى جانب مائدة القمار تجني الليل في العسير مخاطرة باموال زوجها التي جمعها بعرق الجبين ... !

رايتها في الجبل تنهض عند الفجر مستقبلة اشعة الشمس الجميلة في كرم تقطف منه العنب او في مفح جبل تجمع من غابة الحطب ، ورايتها في المدينة تفيق من رقادها عند الظهيرة وقد تولاها الفتور ونهك قواها السهر

لازمت ابنة الجبل في مدة العطلة فادهشني ذكاؤها وسحرني جمالها وراقني نشاطها فكنت اراها مثال المراة العاملة الصالحة الجميلة . وعرفتها في المدينة فجمعتني بها الاجتماعات الالفية والادبية وربطتني بالعمل معها الرابطة الجنسية فرايت فيها كما رايت بنفسي علة التقليد الاعمى وحب التشبه بعادات الغرب المنافية لعاداتنا الشرقية كل المنافاة

كثرت في المدينة الجمعيات والمنتديات والصحف والمجلات وشعر الشرق بنهضة نسائية عظيمة ما سبق لها من مثيل ولكن لا نزال نرى الشقاء في العائلات والانحطاط في المجتمع والفساد في الاخلاق الى ما هنالك من الشوائب مما يخلف لنا بين طيات التاريخ صفحة سوداء وما ذلك الا لاننا نسعى الى الغاية المرصودة عن غير طريق الحكمة والصواب

حملت الينا جرائد الغرب ان المراة هناك قامت تستنصف من الرجل طالبة المساواة في الحقوق المدنية فحلونا نحن حذوها هنا على غير روية

اذا طالب الغربيون بحق التصويت والانتخاب وما شاكل من الحقوق التي يتمتع بها الرجل من عهد بعيد فما ذلك الا لما هي عليه من المقدرة العلمية والاجتماعية التي توهلها للمناصب التي يشغلها الرجال

عفوا رفيقتي لا ترشقيني بسهام الملام والانتقاد فانا فتاة مثلك احمل بين خلايا ضلوعي قلبا كبيرا يصبو الى العظمة ويعشق المساواة والحرية وقصارى اماليي ان ارى بلادي وابنة بلادي وابن بلادي في اعلى ذرى المجد الخالد والتمدن الصحيح والرقي الكامل

رسم الاميرة نجلا ابي اللمع

اقدر ان اقول ان بيننا اليوم ناهضات في سوريا ولكن يؤلمني ان اقول ان ليس بيننا عالمات الا العدد القليل اقول «القليل» بالنظر لكثرة عددنا والامور تقاس بالنسبة

الكتابة الخيالية الصادرة عن قلب حساس ولكنها مفرغة في قالب ركيك والنطق بلغة اجنبية بخفة وكياسة بدون درس ادابها والالمام الزهيد بالعلوم الرياضية والتاريخية والفنية لا توهل المراة لان تدعى عالمة

نرى بين الغربية الطبيبة والمحامية والصيدلية والمخترعة والمكتشفة والكاتبة والشاعرة والصحافية والموسيقية بل نرى بينهن من يجارين الرجال في عالم الطيران فوق لجج البحار

تدخل والرجل جامعة واحدة وتدرس واياه علوما واحدة وتحمل واياه بعد الفراغ من الدرس شهادة واحدة واذا ما خرجت للعالم فلها استقلالها الشخصي تختار دائرة العمل الذي تميل اليه فتتقن عملها لانها تعلمت منذ الصغر حب العمل والاعتماد على النفس . على حين اننا نرى حتى التي تذلل الجانب الاكبر من العقبات القسم الاكبر من بنات الشرق يجهل حتى القراءة والكتابة البسيطة وذلك لان الرجل في هذه البلاد يصرف الذهب بسخاء في سبيل تعليم بنيه الذكور وهو لا ينفق الا القليل في تعليم بناته . هو اساء اليها بتقصيره في تعليمها وهي اليوم تسيء الى نفسها لانها تعرف القليل وتطالب بالكثير واذا شاءت المراة السورية ان تقول ان علومها بالنسبة الى علوم الرجل في بلادها هي كافية معتدلة فقد ركبت متن الشطط لما بينهما من البون الشاسع الذي تشعر به المراة نفسها اذا تنزهت عن الغرض ، ومن قلب نظره في صفحات التاريخ وجرائد المهجر وراى ما تستبطنه من الانباء المدهشة عن بعض رجال الشرق النابغين يتاكد صحة كلامي ولا يرى فيه اقل غلو واذا كنت اعجب بمدارك الرجل الشرقي واشهد له بالتفوق على شقيقته الشرقية فلا يستنتجن من ذلك انني محبذة لمعاملته لها وتفريطه في ما يترتب لها من الواجبات التي لو اداها بامانة واخلاص لكانت البلاد على غير حالتها واذا لمت المراة على مطالبتها اليوم بحقوقها المهضومة فلا يتوهمن احد انني انكر عليها هذه الحقوق ولكن احببت عملا بمفترض الاخلاص ان انبهها الى مسالة خطيرة الا وهي ان توهل نفسها للخطط التي تنشدها والمناصب التي تطلبها قبل المجاهرة بما لها من الحق في نيلها

لا يكاد يترنح قلبي طربا لاقل حركة نسائية ادبية حتى ينقبض صدري من المفاسد التي دبت في بعض الاسر وذهبت بمحاسنها الشرقية القديمة ، فقد اصبحت العائلة عند اهل اليسر مفككة الحلقات مقطوعة الروابط — تصل الليل بالنهار متنقلة من موائد المقامرة الى مسارح الفحش والدعارة وابن الاسر الموسرة من العيال البائسة الفقيرة في الماديات الغنية بالفضائل والاخلاق الكريمة من تقوى ولطف ووداعة وحكمة وحياء وحب وحنان ووفاء .. وان الفتة الناهضة اليوم لا تستطيع بسلاحها الضعيف ان تحارب هذا التيار الجارف ما لم تعد عدتها من المعارف لا سيما فنون الاقتصاد والفلسفة الاجتماعية لتقوى على ادارة شؤون الامة واصلاح ما فسد من اخلاقها وذم من عاداتها . واول مايجب الاهتمام به حصر الجمعيات الادبية في جمعية واحدة كبرى يكون لها لجان شتى يعهد الى كل لجنة منها في المهمة التي تكون اهلا للقيام بها بحيث يكون لكل فن من فنون التربية والتمريض والرياضيات والتاريخ وتدبير المنزل لجنة تعنى بها العناية الواجبة حتى تنتشر هذه الفنون بين جميع الطبقات ولا ريب ان مثل هذا المشروع الخطير يفتقر الى مال كثير غير ان المال لا يتعذر جمعه لهذه الغاية النبيلة مع الغيرة الوطنية والحمية الادبية اذ له وجوه وطرق لا تخفى عن اصحاب الخبرة والمروءة والذكاء . واذا كان الموسرون يتخلفون عن مناصرة هذه المشاريع الجليلة فالاغنياء في الادب لا يضنون ببعض ساعات من اوقات فراغهم يصرفونها في القاء الدروس في كل فن من تلك الفنون ولا سيما في الليل . ولعل الحكومة اذا رات من الادباء هذه النخوة لا تتقاعد عن مساعدتهم حتى بالمال . وهبها الان عاجزة عن الذي تميل اليه فتتقن عملها لانها تعلمت منذ الصغر حب هذه المساعدة المالية فهي لا تعجز عن المساعدة الادبية

تلك فكرة اقترحها على ابناء وطني ولعلها تقع في اذان سمعية وقلوب واعية

ان الطريق التي نسير عليه اليوم لا يؤدينا الى النجاح المطلوب فاذا كنا لا نتلافى الاخطار المحدقة بنا من كل وجه هبطنا الى هاوية الذل والشقاء وهيهات ان نقوى فيما بعد على النهوض منها ولان تتخلق فتاة المدينة باخلاق بنت الحقل اولى من ان تبقى على هذا التمدن الناقص المحفوف بالمكاره والمساوئ والاصلاح المزوج بالاخلاص الاكيد والتضحية المقدسة المقرونة بشريف العاطفة اعظم من عرش نعتليه اليوم ونطاطئ غدا الرؤوس صغارة تحت اقدامه

ومهما كان يعتقده فيك الرجل من الضعف يا رفيقتي ومهما كان مقامك في عقله فاذا اتممت واجباتك باتقان وامانة تكونين رفيعة القدر في عين البشرية اية كانت حالتك اي سواء كنت اما او زوجة او اختا او صديقة

فانشطي اذن الى العمل وثابري على اقتباس العلم وتحلي بمحاسن الاخلاق ومكارم الخلال حتى تسيري من الآن في مقدمة جيش الانسانية الراقي الناهض

فالى اخواني المهاجرين ازف مقالتي هذه مناشدة اياهم الا ينخرطوا ومعا في انهاض وطنهم واحيائه بالطرق الفعالة الحيوية فان هذه البلاد هي امهم تحن اليهم كما يحنون اليها وهم اينما كانوا يذلون اذا ذلت ويعزون اذا عزت

من اقوال الحكماء

كان الناس في قديم الزمان يفعلون ولا يقولون ثم صاروا يقولون ويفعلون ثم صاروا يقولون ولا يفعلون

الافراط في المزح مجون والاقتصاد فيه ظرافة

من لم يقنع بالقليل لم يكتف بالكثير

ارفع يدك عن الطعام وانت تشتهيه

العلماء في الارض كالنجوم في السماء

لا تحتقر من دونك ولا تحسد من فوقك

اذا لم يكن العالم زاهدا في الدنيا فهو عقوبة لاهل زمانه

مثل علم لا ينفع كمثل كنز لا ينفق منه

واطراق طرف العين ليس بنافع

اذا كان طرف القلب ليس بمطرق

والنجم تستصغر الابصار صورته

والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

لا تحتقر شيئا صغيرا محتقر فربما اسالت الدم الابر

ليس العيد لمن لبس الرقيق. انما العيد لمن عرف الطريق

الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا

لما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى اهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل. ما اعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له

قال التهامي

وانا لفي الدنيا كركب سفينة

نظن وقوفا والزمان بنا يجري

لا يطلب الرجل حكمة الا بحكمة عنده

افة الاعياد

للكاتب الروسي تشيخوف

مغربة عن الروسية بقلم انطون بلان في الناصرة

ارتديت بدلتي الجديدة الرسمية وطوقت عنقي بالوسام الذهبي وقلت شاربي الى فوق مرددا كل ذلك بحركات عصبية تدل على مزيد استيائي كاني ارى امامي عدوي اللدود غمغمت من خلال اسناني — يا للبالس! لا في ايام العمل ولا في الاعياد لا اجد لنفسي راحة . اضطر ان اطوف الان كالكلب من مكان الى اخر .. حتى في اخر حياتي . وكانت .. بلا موءاخذة .. شريكة حياتي فيرا واقفة بازائي تصب على راسي نيران غضبها صارخة — لله درك من نابغة ويا لها من بدعة عظيمة! اتريد ان تعدل عن الزيارات ؟ ما شاء الله . اكد يا سيدي انك اذا جسرت وخالفتني وبقيت في البيت .. اقسم اني اترك البيت . نعم اتركه ولا اعود الى الابد . انت تمقتني بعنادك . لنا عم واحد وانت تريد ان تهنيه في راس السنة ؟ ابنة عمنا الن تحبنا حبا يقارب العبادة وانت ياقليل الحياء.. لا تريدان تقوم بواجب الاكرام نحوها بزيارة لا تستغرق من وقتك اكثر من خمس دقائق ثيودور كثيرا ما اسعفك بالنقود حين الحاجة واخي بطرس شدة حبه لعائلتنا امره مشهور وجان قدم لك خدمة في ايجاد محل وانت .. انت لا شعور لك. الهي ما اعظم شقائي. لالا لاشك انك ابله . كان الافضل لك ان تكون زوج جنية تكويك كل ساعة لا زوج وديعة مثلي . انت رجل قليل الدين . اني اكرهك واحتقرك . امض حالا وهاك لائحة باسماء من يتوجب عليك زيارتهم وانصح لك الا تعود الى البيت اذا اهملت واحدا منهم

وما كانت فيرا تضربني ولا كانت تنشب اظافرها في عيني لكني ما كنت اشعر بالامتنان نحوها وظللت ادمدم متذمرا. اخيرا لما ارتديت فروي ووضعت قدمي في الغالوش زودتني عند الباب بالنعوت الاتية

مستبد. ظالم . وحش

خرجت من البيت واخذت عربة ركبتها قائلا للحوذي بصوت ولهجة روميو عند وداع جوليت — الى البوابة الحمراء هناك عم زوجتي. وحضرته كما لا يخفاكم رجل ولا كالرجال . كله رقة ولطف وذوق . يحبني ويحب زوجتي وبعد موته نحن ورثاوه ولكن .. ليت القرد ياخذه ومحبته وميراثه

دخلت اليه في ساعة شيطانية كان فيها غارقا في بحر من الاسرار السياسية . استقبلني بهذه الكلمات

— هل بلغك يا روحي ما ينويه لويد جورج نحونا ؟ ما رايك في هذا الرجل العظيم ؟

اف . هذا العم الفاضل مولع بلويد جورج الى حد الجنون وله نظرات خصوصية في حل المشاكل السياسية . سمعت تشدقه ربع ساعة وكل مرة كنت اتقدم لوداعه كان يمسك بي من كم سترتي ويطالبني ان اسمع فلسفته الى اخرها وهو يزداد صراخا وحماسا ويلطخ وجهي ببصاقه ويدس يده في انفي ويستشهد بمقالات كاملة من المجلات والجرائد تارة يثب وطورا يجلس

شعرت ان الدقائق تمر سراعا وكنت احملق بعيني خوفا من الرقاد والجمود والفتور ان يستولي علي .. لويد جورج بريان. مصر انكلترا — كانت هذه الاسماء تقفز امامي بصورة ابالسة صغيرة

نصف ساعة ... ساعة ... اف يا الهي ..

بعد ساعة خرجت متنهدا تنهد الصعداء . الحمد لله! قلت اللئيم. اسرع يا حوذي الى الشارع الخامس يالعنة من ملعون قتلني بسياسته

في الشارع الخامس كان ينتظرني لقاء الفريق ثيودور وكنت قد استلفت منه في السنة الماضية ٦٠٠ ريال وما كدت القي عليه تحيتي حتى هش لي وبش وطفق يتفرس في عيني — اشكرك يا عزيزي. اشكرك واتمنى لك امثال امثاله. يسرني قدومك يسرني جدا. اني انتظرك من امد بعيد. اظن بيني وبينك حساب صغير من السنة الماضية . لا اذكر المبلغ ... ولكن هذا شيء لا اهمية له ولم اذكره الا عرضا .. الا تريد شيئا من المنعشات

ولما صرحت له خجلا مطرقا براسي مستشهدا بالله اني خال من الدراهم وتوسلت اليه ان يمهلني شهرا اخر ضرب كفا بكف وللحال تبدلت حياة وجهه وقال هما كمن يبكي — عزيزي .. طلبت مني الدراهم الى نصف سنة فقط وما كنت لاقدم على ازعاجك لولا حاجتي الكلية . اه يا عزيزي في اي لجة تلقيني لو تدري. كلمة شرف . بعد عيد الظهور علي تسديد مبلغ .. اه يا الهي الرحوم .. لا تواخذني يا عزيزي اذا قلت لك .. عيب وقلة ذوق وحياء من قبلك ...

ظل حضرته يوبخني ويرشقني بسهام لسانه المر وقتا طويلا دون ان اجد سبيلا للخروج من هناك والنار تستعر في داخلي والعرق يتصبب مني الى ان علوت مركبتي وصحت بالحوذي — الى الشارع السابع ! يا له من بهيم قير الذوق .

وجدت ابنة العم الن غارقة في بحر من التاملات مضطجعة على المقعد في بهو سموي اللون تدني من انفها زجاجة تشم رائحتها وتشكو من صداع في راسها

فتحت عينيها نصف فتحة ومدت لي يديها قائلة باتين — هذا انت يا ميشيل. اجلس يا حبيبي بجانبي . وظلت على حالتها خمس دقائق مغمضة العينين ثم فتحت جفونها وتفرست في كثيرا ومالتني بصوت المحتضر — ميشيل .. عزيزي هل انت سعيد ..

ثم انتفخت الاكياس تحت عينيها التي اغرورقت بالدموع ونهضت من مكانها وضمت يدها الى صدرها المضطرب الخافق وقالت

— اصحيح ان كل شيء قد انتهى بيننا ؟ والماضي الحلو اللذيذ هل غرق في عالم الفناء ولا امل برجوعه؟ طفقت اتمتم شيئا لا معنى له وانظر الى هنا وهناك كمن يطلب سبيلا للنجاة لكن يديها الناعمتين طوقتا عنقي كانهما حيتان .. ويا للهول ! رايت سترتي معفرة بالبودرة ...